

لقاء قناة العراقية بالدكتور إبراهيم الجعفري
2009/8/3
(برنامج التوقيع)

المقدم: الدكتور إبراهيم الجعفري أهلاً وسهلاً بك معنا.

الجعفري: أهلاً وسهلاً ومرحباً.

المقدم: هناك تقليد لدى الإعلاميين من الزملاء اللبنانيين عندما يتحدثون إلى رئيس وزراء سابق في لبنان أمثال سليم الحص، عمر كرامي، نجيب ميقاتي، وحتى السنيورة ينادونهم بدولة الرئيس، اسمح لي أن أناديك بدولة الرئيس.

الجعفري: كما يعجبك.

المقدم: دكتور في البرنامج اعتدت أن أخير ضيوفي بين الألوان الأربعة الأساسية، لكن لعلمي برغبتك وتفضيلك اللون الأزرق سأختار اللون الأزرق، لكي تسقط لنا توقيعك على هذه اللوحة.

الجعفري: شكراً جزيلاً.

المقدم: توقيع بسيط دكتور على ماذا يدلّ هذا؟

الجعفري: الحقيقة أن التوقيع من دون شك هو بصمة الحالة التي يشعرها في داخله، وأنا صمّمته ابتداءً على أن يشير، ويرمز إلى عدد العائلة.

المقدم: حفظهم الله، منذ متى وأنت توقع بهذه الطريقة؟

الجعفري: عام 1980 عندما تركت أرض العراق، لكن قبلها كان يختلف قليلاً.

المقدم: لكنه ينتمي إلى الفكرة نفسها؟

الجعفري: نفسه، مع إضافة بسيطة.

المقدم: أنا أعرف أن الشخص يتذكر توقيعته الذي يوقعه الآن لكن أن تتذكر توقيعك السابق؟

الجعفري: الحقيقة؛ لأنني كنت طبيباً ويومياً أوقع مئات التوقيعات على الوصفة فمحفور في الذاكرة دائماً أبدأ بسمه تعالى، ثم أوقع آخر التاريخ، وبعد ذلك أكتب الوصفة.

المقدم: من وجهة نظر الدكتور الجعفري ما هي فلسفة التوقيع؟

الجعفري: التوقيع يعكس كيف يفكر الإنسان شعورياً وأحياناً لا شعورياً، وبمقدار ما يكون واضحاً ومتجانساً في مركبه الداخلي يُسقط تجانسه وتفاعله مع توقيعه؛ لذا يقف المحللون والقضاة أمام التوقيع وقفة طويلة للتنبؤ من مدى ما يحمله من إشارات شعورية ولا شعورية، وفي بعض الأحيان يعكس نزعتة.. هل هي عدوانية.. هل هو كتوم.. هل هو معقد، أم هو بسيط.

المقدم: حضرتك أول رئيس لمجلس الحكم، وأول رئيس لأول حكومة انتقالية منتخبة، وأول رئيس وزراء مرشح من قبل كتلته لشغل منصب رئيس الوزراء لحكومة منتخبة، وأول سياسي من حيث الشعبية، وذلك من خلال استطلاعات للرأي عامي 2004 و2005 ماذا يعني لك أن تكون الأول؟

الجعفري: أن يحظى المرء باحترام شعبه وثقته فهذه هي القيمة الحقيقية، وليس من عقدة أن يكون أولاً، إنما شعبه يحترمه، ويثق به هذه قيمته.

المقدم: كنت رئيساً لمجلس الحكم، وكنت توقع على بريد مجلس الحكم، لكن أثناء توقيعك على بريد رئاسة مجلس الحكم ما هو الإحساس الذي يراودك، وأنت تعلم أن هناك فيتو للحاكم المدني بول بريمر قد يستخدم هذا الحق الفيتو في نفس هذا التوقيع أو إلغائه.

الجعفري: كنا في حالة صراع بين إرادة وطنية متنامية وشخص سُمي حاكم مدني للعراق وله غطاء مُشرعن دولياً.. كنا في حالة صراع، كيف ننمي الإرادة الوطنية ونمدّ بحجم الإرادة الوطنية حتى تتقلص إرادة الاحتلال بالمقابل؛ لأن الاحتلال كان مُشرعناً، وهذا الصراع عكس قوة الإرادة الوطنية العراقية من خلال الحدّ من تدخلاته.

المقدم: هل استخدم بول بريمر هذا الحق (الفيتو) على توقيع من تواقعك حين كنت رئيساً.

الجعفري: لا أتذكر ذلك ربما أراد أن يتدخل في بعض الأمور، فامتنعتُ مثلاً عندما شكلت الحكومة الأولى كان يريد أن يطلع على أسماء، وأرسل السفير البريطاني لمعرفتها، وبقي ينتظر، لكنني بقدر تعلّق الأمر بي اعتبرت إعطائي هذه القضية أو التشاور خلاً وتصدّعاً في أدائي الوطني، فرفضت، وقلت له: نحن نقوم به أنت لا تتدخل به، بعد ذلك قال على الأقل نطلع على الأسماء فقط، والذي أتذكره بفترة الثماني والأربعين ساعة الأخيرة، وأقولها احتياطاً ربما تكون في الأربع والعشرين ساعة الأخيرة، ولم يتدخل بأي اسم.

المقدم: من حق كل عضو أن يرشح له ممثلاً في الحكومة، هناك خمسة وعشرون عضواً بالحكم له الحق أن يختار اسماً.. ما دورك في هذا التكوين إن كان لكل عضو الحق في اختيار الوزير؟

الجعفري: كان هذا موجوداً لكنه كان في العمل الذي سبق تشكيل الحكومة وإيضاً في تلك الفترة.. لكل طرف أن يمثل نفسه بشخصية بورقة التداول في الشأن الدستوري، واشترطنا في وقتها أن لا تكون الشخصيات التي تشكل مجلس الحكم ذاتها التي تشكل لجنة التخطيط الدستوري باستثناء واحد فقط، حتى يكون رابطاً بين مجلس الحكم وبين لجنة التخطيط الدستوري، وكان القاضي (دارا)، ولما صادف يوم الإعلان استشهد محمد باقر الحكيم (رحمة الله تعالى عليه) أجّلناها يومين، ودخلت في الرئاسة الثانية مع أحمد الجبلي مع الاشتراط أن الذي يعلن عنها هو الرئيس السابق؛ لأنها تشكلت في وقتي، فامتنعت أن أعطي هذه الأسماء منذ وقت مبكر أو أن أتداول معه إطلاقاً.

المقدم: هل كان تصرفاً شخصياً أم كان تكليفاً من مجلس الحكم بصورة عامة؟

الجعفري: هذا كان طموحي، وتعاملت مع الآخرين، وتعاملت معي الكثير من الإخوة، وحققناه، واعتبرناه مُنجزاً، وسافرت سبعة أيام لزيارة سبع دول، ودخلت إلى جامعة الدول العربية، واتفقنا مع الأخ الدكتور عمرو موسى على إدخال وزير الخارجية لأول مرة في 2004/10/10 في الشهر التاسع الذي يلي تشكيل الحكومة، وهي أول مرة يدخل وزير خارجية عراقي جديد بعد سقوط صدام، ويحتل هذا الموقع، وكان يوجد موقف سلبي شبه مُجمّع عليه، وانتهى الحظر.

المقدم: دولة الرئيس كان آخر توقيع لك عندما كنت رئيس مجلس الحكم كان يوم التوقيع على قانون إدارة الدولة العراقية، وهذا التوقيع منكم وبقية الأعضاء الشيعية في مجلس الحكم كان بتحفظ.. من هو عَرَّاب التحفظ .. من أشاع فكرة التحفظ ابتداءً، ولماذا؟

الجعفري: لا أتذكر أحداً كان يتحدث بلغة التحفظ، لكنني استشففته شخصياً، وهذا كان سراً.. كنت متحفظاً على التوقيع، وقد حدثت ارتباكات لبعض الإخوة فكاد أن يسبب لنا حرجاً، إلا أنني علمت من بعض الإخوة أن المرجعية تطالب بتوحيد الموقف، فاضطرت للتوقيع من دون أن أثبت تحفظي.

المقدم: وما هي أسباب التحفظ والأغلبية كانت ترى قانون إدارة الدولة مدخلاً جيداً ونقله نوعية في موضوع تقنين العملية السياسية ومقدمة لدراسة الدستور؟

الجعفري: بُنيت التحديدات على سير العملية الديمقراطية وهذا بالنسبة لي شيء غير صحيح، لأننا يجب أن نعطي للعموم العراقي حرية، ولا نقيد إلا بحالات استثنائية فأخذت وقتاً طويلاً في ساعة متأخرة من الليل قبل الفجر، وكنت أتمنى على الإخوة أن يتجاوزوا هذه الحالة والكل كانوا مع هذا الاتجاه - وللأسف الشديد - حدث استعجال، وأنا أعتبره نقطة ضعف..

قانون إدارة الدولة فيه بعض النقاط الإيجابية الجيدة، لكن كانت توجد نقاط سلبية هي بالنسبة لي مورد تحفظ، ووددت أن أترك بصمة التحفظ تاريخياً ووطنياً على التوقيع.

المقدم: هل أستطيع التخمين من خلال كلامك تحديد الفقرة ج من المادة 61 التي تخصّص لثلاثي ثلاث محافظات أن تعرقل الدستور العراقي، هل يُعتبر هذا موقفاً ضد الكرد في العراق؟

الجعفري: لا، أنا أخطب الشعب العراقي ومصلحته بالعمق، العمق الكردي والعمق العربي والعمق العربي المتنوع والعمق الديني المتنوع بالعكس، هذه المواسم المؤقتة كانت في حسابات تضيي، وتعطي بعض الكيانات والرموز فرصة للتغالب والتسابق فيما بينها أما المصلحة الوطنية العراقية، فسترسو كل القوانين على شاطئها أما الآن أو فيما بعد، فالشعب العراقي موحد، وكل من لا يتوحد بتوحد الشعب العراقي سيضطر لأن يغيّر نفسه إلى الثابت الوطني العراقي.

المقدم: إذا جمعتُ موضوع اعتراضك على المادة 61، وربطته مع ما يتهمك به الكرد بأنك عرقلت أو حاولت أن تسوّف عملية تواقعك على موضوع المادة 158 الخاص بتطبيع الأوضاع في كركوك أثناء ولايتك للحكومة الانتقالية، من هذا يقال: إن علاقتك بالكرد علاقة متشنجة.

الجعفري: أولاً أنا أرفض أن تستخدم لفظة الكرد، كموقف سلبي مني، كما أرفض بدرجة أكبر أيضاً أن يكون عندي موقف من الإخوة الكرد وهم شعبي، إنما القضية مع بعض الرموز التي حاولت أن تستخدم ذلك الشيء استخداماً موسمياً وهذا الحديث حصل في حقبة زمنية محددة هي عام 2005 ونحن الآن في 2009 ولم يحصل على مستوى تطبيق الدستور.

المقدم: يُشاع عنك بأنك متردد في توقيع القرارات الحاسمة، وتغلب عليك العاطفة بعض الأحيان في التأثير على توقيعات وقرارات مهمة، كيف ترد؟

الجعفري: غير صحيح، بالنسبة لي، القرار لا يأخذ وقتاً أكثر من أن أفكر فيه باللحظة.

المقدم: إحدى القضايا، كنت مسافراً خارج العراق، لا أعرف إلى أي دولة، رجعت فوجدت نائبك ورئيس الوزراء وكالة موقع على أربعة عشر ملف إعدام، طلبت مراجعتها فرأيت أحد الملفات أن هناك ثلاثة شباب عراقيين من محافظة صلاح الدين من تكريت بالتحديد محكوم عليهم بالإعدام، ألغيت قرار الإعدام بحكم صلاحيتك على الرغم من أن أمراً قضائياً صدر بذلك، هذا الإلغاء هل جاء لأنهم شباب كما قيل أم لأسباب أخرى، هل تتذكر هذا الملف؟

الجعفري: أتذكره جيداً عندما كنت في سفرة إلى نيويورك مثلت العراق في الأمم المتحدة، وعندما رجعت سألت ما هي أهم القرارات التي اتخذت في مجلس الوزراء أثناء غيابي، ففهمت أن قرارات بالإعدام على أربعة عشر ملفاً مُحالة من الجهة القضائية، فقرأت الملفات فوجدت ثلاثة شباب محكوماً عليهم بالإعدام، ولما قرأت الملف جيداً، وجدت أنهم جُناة لكن لا تصل الجناية إلى حد الإعدام، كما أنني وجدت ورقة في الملف أن أبا المخطوف كتب فيها: قدر تعلق الأمر بي أسقط حقي في هذه القضية، عندما قرأتها قلبت الملف جيداً، هؤلاء يستحقون العقوبة لكن ليست بمستوى الإعدام، ويجب أن يكون القصاص على قدر الجناية.

المقدم: هل تتذكر شقير، يقال إنك ترددت في إعدامه، وسمعت أنك بكيت حين وقعت على إعدامه.. ما مدى صحة هذا؟

الجعفري: أبداً هذا غير صحيح، هذا الوحيد الذي هددت في البرلمان، وقلت يجب أن أمسح رأس اليتيم (ليث)، الذي أنا سميته أيمن، وأقيم الحق، وأخذ له ثأر أبيه بالحق. شقير قتل أباه هو ومائة شخص، وقال أمام وسائل الإعلام بأنه يسمّل عيون من يختطفهم، ويذهب بها إلى الذين حثوه على ذلك، فعندما تم التحقيق معه، تابعت سير القضاء، حين حكم عليه بالإعدام، فأردت أن أرسل إلى أربع عوائل من ضحايا هذا السفاح في الموصل لزيارتي ومنهم كانت أم أيمن الذي أنا سميته أيمن وهي أم ليث..

المقدم: هناك توقيع آخر، كانت لك زيارة إلى إيران، وعقدت عدة اجتماعات وناقشت عدة موضوعات في نهاية الزيارة قدّمت لك مذكرة تختص بالأمور التي جرت في الزيارة، لكن وكأنه أقحمت مسألة اتفاقية الجزائر بين العراق وإيران فيها إشارة

واضحة إلى ضرورة التزام العراق باتفاقية الجزائر، ولم توقع على المذكرة لسبب هل كان عدم توقيعك موقفاً من الاتفاقية كاتفاقية أم إنه موقف من إيران كدولة؟

الجعفري: يوجد شيء يجب توضيحه، أنا لديّ مستشار قانوني، ولا يزال الرجل مستشاراً قانونياً في رئاسة الوزراء الحالية، وعادة القضايا التي تتطلب استشارة قانونية لا أتجاوزها، ولم أكن مستعداً لأن أرتجل الموقف، ويجب أن يكون الموقف مدروساً، فلم تطرح عليّ مسبقاً اتفاقية الجزائر عام 1970 بل جاءت بشكل مفاجئ، وحُشِرَت العبارة في المذكرة، فتوقفت عندها، ومعني المستشار القانوني، واستشرته بوجود الأخ وزير خارجيتنا ووزير خارجية الجمهورية الإسلامية، وبعد الكلام الكثير حسمتها، فلا يوجد توقيع؛ ثم إنها ليست لها علاقة بزيارتنا حالياً، وهذا الملف غير مطروح لا هنا ولا هناك، فأقحامنا في هذه القضية غير مسموح به.

المقدم: لماذا لم توقع على قرار إعلان فرض حظر التجوال بعد أحداث سامراء يقال إنك تأخرت أو تعمدت تأخير التوقيع على فرض حظر التجوال بعد أحداث سامراء، وما حدث في اليومين التاليين لهذه الأحداث في بغداد بالذات كان بسبب هذا التأخر؟

الجعفري: نحن طرحناه في مجلس الوزراء، ولم يحظَ بالتصويت، وقد اتخذنا سلسلة إجراءات في الساعات الأولى من اليوم الأول، ولم يقبلوا بها في اليوم الثاني، وكنت أباشر لقاءاتي مع اللجنة الأمنية في الغرفة الأمنية التي يحضرها كل معني بالمفاصل الأمنية، وتعاملنا معها في ذلك اليوم، وأصبحت لديّ قناعة بأنه يجب تطبيقه، فطبّقناه على مسؤوليتي، خلال أربع وعشرين ساعة، لكن مجلس الوزراء في اليوم الأول لم يصوّت عليه في اليوم الثاني ومن الغرفة الأمنية جاءت تقديرات بأن ترك الأوضاع بدون هذا الإجراء قد يتسبب بتداعيات، عندها اتخذنا القرار.

المقدم: توقيع آخر لماذا لم توقع على اعتبار يوم السبت عطلة رسمية، كنت رافضاً اعتباره عطلة رسمية؟

الجعفري: حقيقة يجب ان اذكر... انت رجعت بنا الى عام 2004 كنت في رئاسة الجمهورية من ثلاثة اعضاء غازي الياور رئيس الجمهورية والدكتور روش نوري شاويس وانا نواب للرئيس، وكنا نجلس سوية، وبتقاسم المسؤولية على حد سواء، فطرح موضوع يوم اضافي لعطلة نهاية الاسبوع، وانا شخصياً كنت أتبنى ان يكون يوم الخميس، الاخ غازي والاخ روش قالوا: يوم السبت. انا قلت: لا، بل يوم الخميس فيوم الجمعة يوم صلاة والناس يحبون أن يتهيئوا يوم الخميس؛ ليضاف إليها فهو شيء جيد، وفي الحقيقة كانت حجة الاخوين روش وغازي الياور قوية فقد قالوا: نحن متصلون بالعالم كله وعطلتهم السبت والاحد فنحن نضيف خميس وجمعة معنى ذلك ستصبح اربعة ايام، وتبقى فقط ثلاثة ايام في الاسبوع لنتعاطى مع العالم وهي لا تكفي، بصراحة رأيت الحجة قوية، فقبلت بذلك، ووقعت عليه.

المقدم: مع من سيوقع تيار الإصلاح التحالف القادم في الانتخابات؟

الجعفري: مع كل من يخدم الشعب العراقي، ويقف متقدماً ضمن المعايير الوطنية العراقية.

المقدم: سمّ لي أسماء دولة الرئيس، انت الان تدخل في مفاوضات منذ فترة مع الائتلاف العراقي الموحد وقريب جداً من التوقيع مع هذا الائتلاف، هل سيوقع تيار الإصلاح مع الائتلاف العراقي الموحد قد يكون بتسمية أخرى؟

الجعفري: اتفقنا على الثوابت التي تبنّاها نحن واخواننا معاً جميعاً.. اتفقنا على مجموعة ثوابت تمثل مشتركاً، من يتفق معنا على الثوابت، ويلتزم بها نحن معه الى نهاية الطريق وضمن مفاهيمنا على الائتلاف أن يكون الائتلاف كياناً ممتداً ومتصلاً، ويجسّر العلاقة مع الآخرين، ويتحالف مع الأطراف كافة، ولا يأسر نفسه بطرف واحد كما حصل في الدورة الماضية، ويمتد مع الإخوة الكرد، ويمتد مع الكتل البرلمانية الأخرى، ويعطيها، ويأخذ منها، ويجسّر هذه العلاقة، ويعطيهم ما لهم، ويأخذ ما له ضمن الموازنة الوطنية.

المقدم: هل تتوقع أن يكون رئيس الوزراء القادم من قائمة الائتلاف العراقي الموحد؟

الجعفري: لم لا إذا كان يملك الحجم الأكبر، والدستور قد ثبت أن الكتلة الأكبر في البرلمان هي التي ترشح رئيس الحكومة، وهذا حق طبيعي.

المقدم: هل أنت متفائل بتشكيل الائتلاف، وما هي توقعاتك لنتائج الانتخابات القادمة؟

الجعفري: أنا أتفاعل، وأكثر من أن أتفاعل أتفاعل، وأكثر من أن أتفاعل، أتأمل، وأبذل الجهود من أجل أن أحقق ما أعتقد به، لكن إذا اصطدمت بأي شيء فلكل حادث حديث، وسأبذل قصارى جهدي من أجل إنجاح المشروع؛ لأنني أعتقد أن في ذلك خدمة للمصلحة الوطنية الكبرى.